اللغة العربية و مجتمع المعرفة

إعداد

الأستاذ الدكتور موفق دعبول

عضو مجمع اللغة العربية

أيار ٢٠٠٥

الأستاذ الدكتور شاكر الفحام رئيسَ المجمع الموقر

الزملاء الأفاضل أعضاءَ المجمع

أيها الحضورُ الكرام

السلام عليكم ورحمة الله وبعد،

فإني أشكر لكم حضوركم لاستماع محاضرة هذا المساء في اللغة العربية ومجتمع المعرفة، راجياً أن تجدوا فيها ما يفيد.

أشكركم، بوجه خاص، لأنكم الاستثناء في مجتمع زهد في القراءة، وفي حضور المحاضرات والندوات العلمية والفعاليات الثقافية.

وقبل البدء بموضوع المحاضرة، لا بد لي من توضيح بعض المصطلحات الهامة دفعاً لأي التباس:

المعرفة لغةً، كما جاء في تاج العروس، إدراك الشيء بتفكرٍ وتدبرٍ لأمره، ويُضادّه الإنكار، ولها معانٍ أخرى.

والمعرفة تقابل كلمة knowledge **في الإنكليزية، وهي في معجم ويبستر** Webster**: فهم وإدراك واضح ومحدد لشيء ما. إنها الخبرة العملية والمهارة والأُلفة والدراية.**

وفي معجم أطلس: هي الأُلفة والوعي والفهم المكتسبة عن طريق التجربة أو الدراسة.

ومن أفضل التعاريف ما ورد في كتاب "الإنسان والمعرفة في عصر المعلومات: كيف تحوّل المعلومات إلى معرفة"، تأليف كيث دڤلين Keith Devlin. فقد جاء فيه:

"إن المعرفة هي المعلومات التي يملكها الشخص امتلاكاً يخوله الاستفادة الفورية منها".

غير أنه كثيراً ما يكون هناك خلط بين المعلومات information والمعرفة knowledge، فنستعمل إحدى الكلمتين محل الأخرى، في حين أنّ لكل منهما معنى مختلفاً عن الآخر.

كذلك كثيراً ما يكون هناك خلط بين كلمتي المعلومات والمعطيات (البيانات) data، فنستعمل إحداهما محل الأخرى.

ولإدراك هذه الفروق يمكن القول، على وجه التقريب، إن المعطيات هي ما تزودنا به الصحف والتقارير، ونظم المعلومات في الحاسوب، كلائحة أسعار الأسهم في صفحة أسواق المال، أو هي ما تتضمنه البطاقات الشخصية ، أو قراءة أجهزة القياس. هي ما ندركه مباشرة بحواسنا، هي المادة الأولية، كما يقول نبيل علي، أو هي المعطيات البكر التي نستخلص منها المعلومات.

وعندما يحصل المرء على المعطيات، ويكيفها وفق إطار معلوماتي اكتسبه سابقاً، تنتقل إلى معلومات. فالمعلومات، إذن، هي ناتج معالجة المعطيات تحليلاً وتركيباً، لاستخلاص ما تتضمنه هذه المعطيات أو تشير إليه. فعندما أقرأ لائحة أسعار الأسهم في صحيفة، فإني أحصل على معلومات عن مختلف الشركات، ذلك لأني أعرف سلفاً ماذا تعنيه هذه

الأرقام، وكيف تعمل أسواق المال. وبعبارة أخرى، إن المعطيات تصبح معلومات إذا أُضيف إليها معنى. إذن

المعلومات = المعطيات + المعنى.

وعندما نختزن في داخلنا المعلومات إلى أن يصبح بمقدورنا الانتفاع بها، تنقلب المعلومات إلى معرفة، فالمعرفة إذن هي حصيلة هذا الامتزاج الخفي بين المعلومات والخبرة والمدركات الحسية والقدرة على الفهم. فإذا كنتُ أعرف كيف أشتري الأسهم في السوق وكيف أبيعها، وكنت على دراية ببعض الشركات صاحبة الأسهم، فإن المعلومات التي أحصل عليها من خلال قراءتي للأرقام، تزودني بمعرفةٍ تساعدني على المتاجرة بالأسهم. إذن:

المعرفة = المعلومات المختزنة + القدرة على استعمال المعلومات.

إن كلمات أي لغة هي معطيات، لكن إدراكنا لمعاني هذه الكلمات يجعل منها معلومات، وكتابة جملة مفيدة، أو نظم بيت من الشعر، يصبح معرفة.

فالمعطاة (مفرد معطيات) جامدة لا حراك فيها، والمعرفة متحركة تنبض بالحياة.

وقد قال أحد أباطرة الصين: "المعرفة هي القوة التي تمكّن العاقلَ من أن يسود، والقائدَ الخيّر من أن يهاجم بلا مخاطر، وأن ينتصر بلا إراقة دماء، وأن ينجز ما عجَزَ عنه الآخرون".

وجاء في تقرير التنمية الإنسانية العربية لعام ٢٠٠٣ ما يلي: "تتكون المعرفة من المعطيات والمعلومات والإرشادات والأفكار، ومجمل البنى الرمزية التي يحملها الإنسان أو يمتلكها

المجتمع في سياق دلالي تاريخي محدد، وهي توجه السلوك البشري فردياً ومؤسسياً في مجالات النشاط الإنساني كافة، وفي إنتاج السلع والخدمات، وفي نشاط المجتمع المدني والسياسي وفي الحياة الخاصة.

وتضم المعرفة، على سبيل المثال، البنى الرمزية (منها اللغة التي تعد إحدى وسائل الاجتماع البشري، ومنها القصيدة والقطعة الموسيقية، واللوحة الفنية، وما ماثل ذلك). وهذه البنى تُمتلك عن طريق التعليم الرسمي، والدروس المستفادة من خبرات العمل والحياة، وتشمل الحقائق والقصص والصور وموجهات السلوك البشري موثقة أو ضمنية أو منقولة شفاهاً.

والمعرفة، على سلم السمو الإنساني، أدنى درجةً من الحكمة، التي تشترط التزامَ القيمِ الأخلاقية العليا للإنسانية، مثل الحرية والعدالة والكرامة الإنسانية".

ولإدوارد سعيد كلام لطيف عن كنه المعرفة فهو يقول: "لا نريد المعرفة كمنتَج أو سلعة، ولا نريدها كعملية إصلاح تعني مكتبات أكبر، أو عدداً أكبر من الحواسيب فقط. المعرفة التي نريد تختلف نوعياً، وتقوم على الفهم عوضاً عن السلطة والتكرار غير الناقد، أو الإنتاج الآلي.

ليست المعرفة مجرد الحقائق (المعلومات). ولكن كيف ترتبط الحقائق بحقائق أخرى؟ كيف تتكون الحقائق في الأساس؟ هل ترتبط بافتراضات أو نظريات؟ وكيف يمكن للمرء أن يحكم على العلاقة بين الحقيقة والمصالح، وكيف يمكن فهم الواقع كتاريخ؟

هذه هي بعض القضايا الجوهرية التي تواجهنا، والتي يمكن إيجازها في العبارة: كيف نفكر؟

الزمن الراهن هو ساحة المعركة والمعرفة هي سلاحنا".

المعرفة إذن هي سبيل بلوغ الغايات الإنسانية الأخلاقية العليا، وهي في عصرنا هذا المحرك القوي للتحولات الاقتصادية والتغيرات الاجتماعية، واكتساب المعرفة شرط أساسي لرفع القدرة الإنتاجية للمجتمع.

أما مجتمع المعرفة، فهو ذلك المجتمع الذي يقوم أساساً على نشر المعرفة وإنتاجها، وتوظيفها بكفاءة في الاقتصاد والسياسة، والحياة الخاصة والمجتمع المدني وغير ذلك من مجالات النشاط المجتمعي، بغية إقامة التنمية الإنسانية.

ويرى تقرير التنمية الإنسانية العربية لعام ٢٠٠٣ أنّ إقامة مجتمع المعرفة في البلدان العربية يتطلب أموراً كثيرة من أهمها:

١. **إطلاق حريات الرأي والتعبير والتنظيم وضمانها بالحكم الصالح.**
٢. **النشر الكامل للتعليم الراقي النوعية، مع إيلاء عناية خاصة للمعلم والمتعلم، وللتعلم المستمر مدى الحياة.**
٣. **توطين العلم، وبناء قدرة ذاتية في البحث والتطوير التقاني في جميع النشاطات المجتمعية.**
٤. **التحول الحديث نحو نمط إنتاج المعرفة في البنية الاجتماعية والاقتصادية العربية.**

٥. تأسيس نموذج معرفي عربي عام وأصيل، منفتح ومستنير، يعتمد توجهات رئيسية نذكر منها:

- النهوض باللغة العربية عن طريق إطلاق نشاط بحثي ومعلوماتي جاد، يعمل على تعريب المصطلحات العلمية، ونحت ما يمكن اشتقاقه دون تشنج، ووضع معاجم وظيفية متخصصة، وأخرى لرصد المفردات المشتركة بين اللغة المحكية والفصيحة، يستعان بها في برامج الأطفال والمنشورات المكتوبة والصوتية. ولا بد أن يواكب هذا الجهدَ، عملٌ دؤوبٌ لتيسير اكتساب اللغة العربية السليمة من خلال مختلف قنوات التعلم النظامية وغير النظامية، وحركةُ تأليفٍ مبتكرٍ وإبداعيٍّ على مستوى الأعمار الأولى.
- إثراء التنوع الثقافي داخل الأمة، ودعمه عن طريق حماية كل بلد عربي لجميع الثقافات الفرعية التي يحملها أبناؤه، وهذا يتطلب التزامَ القيادات السياسية والمدنيّة احترامَ التعددية والذود عنها.
- استحضار إشراقات التراث المعرفي العربي، وإدماجها في لحمة النموذج المعرفي العربي بطريقة تتجاوز التفاخر الأجوف إلى التمثل المتأصل لأسباب ازدهار المعرفة العربية في العقول والبنى المؤسسية العربية.
- الانفتاح على الثقافات الإنسانية الأخرى بحفز التعريب والترجمة إلى اللغات الأخرى ومنها، والاغتراف الذكي من الدوائر الحضارية غير العربية.

هذه أمور يعترضها تحديات جسام نورد منها:

- **الاضطراب السياسي وأثره في زعزعة الاستقرار، وهذا يؤدي إلى انحسار الاستثمار الوطني وغير الوطني، ويؤثر سلباً في جميع مشاريع التنمية، ومنها تلك التي تمهد السبيل إلى دخول مجتمع المعرفة.**
- **الاحتلال الصهيوني غير المشروع للأراضي العربية، الذي ينشأ عنه تحويل الاستثمار العام من التنمية الإنسانية إلى الإنفاق العسكري . ثم إنه يقلب ترتيب الأولويات الوطنية، وهذا يُحْدِثُ تأثيراتٍ سلبيةً في أركان مجتمع المعرفة.**
- **الفقر وآثاره المدمرة.**
- **وضع المرأة الذي كرسته التصورات الخاطئة لدورها في المجتمع، وهذا أدى إلى انحسار فاعليتها وتعطيل طاقاتها.**

إن هذه التحديات مجتمعة، جعلت الفجوة المعرفية بين وطننا العربي وبين مجتمعات المعرفة، تتسع وتتنامى بسرعة عالية. ويرى البعض أنه لا يمكن تقليص هذه الفجوة إلا بتيسير استيعاب المعرفة واكتسابها ونشرها وتوظيفها.

ومما يؤسف له حقاً أن العرب لم يعطوا شأن المعرفة ما يستحقه من إعداد. فمستقبلنا، وعزتنا، وكرامتنا، واقتصادنا، يتوقف على هذه الجهود التي نبذلها في تكوين مجتمع المعرفة، فمن أراد لبلاده أن تتخلصَ من التبعية، وترفضَ الذل والهوان، وتستعيدَ مجدَها، فعليه أن يعمل بإخلاص واجتهاد لإقامة مجتمع المعرفة.

وسأتحدث فيما يلي بإيجاز عن الركن الأول من الأركان الخمسة المطلوبة لإنشاء مجتمع المعرفة، وهو ذلك الذي يتعلق بالحرية، ثم أنتقل بعد ذلك لأتحدث ببعض التفصيل عن الركن الأخير، منسجماً مع عنوان المحاضرة.

ففيما يتعلق بالركن الأول، أود أن أشير إلى تقرير التنمية الإنسانية العربية، لعام ٢٠٠٤، الذي صدر حديثاً، والذي يركز على هذه القضية المستعصية في الوطن العربي، ألا وهي الحرية والحكم الصالح.

جاء في هذا التقرير: "يتحول حصار سلسلة خنق الحرية، مع الوقت، إلى حصار داخلي للذات، يصبح فيه الإنسان على نفسه رقيباً، يحارب في ذاته كل نزعة للقول والفعل".

فكيف يمكن إذن لإنسانٍ من هذا النوع أن يدق باب مجتمع المعرفة؟

وجاء في ختام التقرير ما يلي: "إن ديار مجتمع الحرية والحكم الصالح في البلدان العربية، دونها أهوال، وهذا صحيح لا مراء فيه.

وعلينا أن نتذكر أيضاً أن نقطة البدء الراهنة، في البلدان العربية، بعيدة عن هذا المقصد النبيل بأشواط، ويحيط بها لج متلاطم من العواصف والأنواء المحلية والإقليمية والعالمية، وربما كنا قد تقاعسنا، نحن العربَ، طويلاً عن خوض النضال المجتمعي اللازم، لانتزاع الحرية وترسيخ مجتمع الحكم الصالح، حتى بدا وكأن العرب قد هانوا على أنفسهم، فاستبيحت الأمة، وامتُهنت من جانب الطامعين فيها. والتقاعس يورث تركةً أشدّ وطأة".

لكن التقرير لم يفقد الأمل، ولم يكتف بوصف حالة الحرية المتردية في وطننا العربي؛ فلفت الانتباه إلى أن مقصد الحرية هو من النبل بحيث يستحق العَناء، وأنه آن الأوان لتعويض ما فات، والأمل ألا تتأخر الأمة العربية مرة ثانية عن التشبث بالمسار التاريخي المؤدي إلى الموقع الذي يَليق بها في عالم جديد شجاع ونبيل، تُسهم في إقامته وتَنعم بالانتماء إليه.

إن الوطن العربي يجتاز لحظة تاريخية لا تقبل التوفيق أو التلفيق، فلينظر كل منا في الطريقة التي يمكن أن يسهم بها في إقالة عثرة الأمة دون إبطاء.

ولقد آن الأوان لانقضاء أَجَلِ عصر الرقابة على إنتاج المعرفة ونشرها، وعلى الإبداع والابتكار ضمن أطر الأخلاق والقيم، إيذاناً ببزوغ فجر الإبداع الحر المؤسِّس لمجتمع المعرفة في البلدان العربية.

وإن دعوى حماية المواطن من بعض صنوف المعرفة، والسماح لبعضها الآخر، بقرارٍ يصدر، في بعض الأحيان، عن مراقب لا يملك الرؤية، ولا يدرك أثر قراره في الفرد والمجتمع، لم تعد ذات معنى أبداً في عهد الفضائيات والإنترنت. إن الثمن باهظ جداً، والفائدة هزيلة جداً.

وثمة عقبة كأداء تحول دون ولوج مجتمع المعرفة. إنها إسناد الأمور إلى غير أهلها، واعتماد معايير لشُغل هذا الموقع أو ذاك بعيداً عن الكفاءة العلمية، والدراية الإدارية، والغنى الفكري، والموضوعية، والاستقامة، لتحلّ محلّ معايير أخرى قد تغير بعض الأمور، لكنها دونما ريب، تؤدي إلى عواقب وخيمة، كما نعلم.

وللإنصاف لا بد من الإشارة إلى بعض المحاولات، في هذا الجزء أو ذاك من الوطن العربي، التي ترمي إلى الإصلاح الإداري واحترام الحريات، والاعتراف بالقدرات والطاقات، لكنها تسير بطيئة متثاقلة متثائبة. والزمن لا يرحم، ونخشى أن نصل متأخرين جداً بعد فوات الأوان.

لأنتقلْ بعد ذلك إلى الحديث عن اللغة، بوجه عام، وعن اللغة العربية بوجه خاص، قبل الحديث عن دور اللغة العربية، في مجتمع المعرفة في وطننا العربي.

لذا أبدأ فأقول: "إني لا أجد نفسي مضطراً للاستفاضة في الكلام عن اللغة وأهميتها، وعن اللغة العربية ودورها، فكل منكم، أيها الحاضرون الكرام، فارس في هذا الميدان، لذلك أكتفي بذكر بعضِ ما قاله علماء اللغة، والمربون، وأصحاب الاختصاص".

يقول ابن خلدون: "إن اللغة هي الهواء الذي نتنفسه، وهي التي تترجم ما في ضمائرنا من معان".

ويقول جاك دريدا: " إن كل لغة، من آلاف لغات العالم، تحمل العالم في جوفها".

ويقول شاعر صقلية إجنازيو بوتينا: "إن الشعوب يمكنُ أن تكبل بالسلاسل، وتُكَمَّ أفواهُها، وتُشرَّدَ من بيوتها، وتَظلُّ مع ذلك غنية. فالشعب يفتقر ويُستعبد ما إن يُسلَبَ اللسانَ الذي تركه له الأجداد، عندئذ يضيع إلى الأبد!".

ويقول أمين الخولي: "إن آفاتِ حياتنا في جمهرتها تعود إلى علل لغوية، تُصدّع الوحدة، وتُحرّم الدقة، وتبدد الجهد، وتُعوّق تسامي الروح والجسم والعقل والقلب".

وهكذا نرى أن اللغة هي مرآة العقل، وأداة الفكر، ووعاء المعرفة. هي المنظار الذي به يدرك الإنسان عالَمه، وهي العامل الحاسم الذي يكوّن هوية هذا الإنسان، ويضفي على المجتمع طابعه الخاص. إنها الوسيلة التي تستخدمها جميع قطاعات المعرفة الإنسانية والقاعدة التي تؤسس مهارات التواصل الإنساني.

وفيما يتعلق باللغة العربية، يقول إرنست رينان (١٨٢٣ ـ ١٨٩٢): " من أغرب ما وقع في تاريخ البشرية، وصعب حل سره، انتشار اللغة العربية، فقد كانت هذه اللغة غيرَ معروفة بادئَ ذي بدء، فبدت فجأة في غاية الكمال، سلسة أيَّ سلاسة، غنية أي غنى، كاملة إذ لم يدخل عليها منذ ذلك العهد إلى يومنا هذا أدنى تعديل مهم، فليس لها طفولةٌ ولا شيخوخة، ظهرت أول أمرها مستحكمةً، ولا أدري: هل وقع مثل ذلك للغة من لغات الأرض، قبل أن تدخل في أطوار وأدوار مختلفة؟".

ويقول المستشرق ماسينيون: "ليصمد العرب لأن العالم بأمسِّ الحاجة إليهم، ولْيحترموا عربيتهم، هذه الآلة اللغوية الصافية التي تصلح لنقل اكتشافات الفكر في كافة الأقطار والأمصار، ولْيحافظوا على أصالتها، فلا تنقلبَ مَسْخاً مقلداً للغاتنا الآرية، أو تتخثرَ في حدود ضيقة، شأن العبرانية الجديدة التي تخثرت في الصهيونية المتطرفة".

وقال مستشرق آخر: "لا توجد على وجه الأرض لغة لها من الروعة والعظمة ما للغة العربية، ولكنْ لا توجد على وجه الأرض أمة تسعى، بوعي أو بدون وعي، لتدمير لغتها كالأمة العربية".

لكن حصوننا مهددة من داخلها: إن بلادنا تتعرض لغزو ثقافي مفزع يرمي إلى القضاء على ثقافتنا، وإلى بتر صلتنا بتاريخنا، واستبدال قيم غريبة عنا بقيمنا الأصيلة التي تعمل على سلامة الفرد والمجتمع، وتصون كرامة الإنسان، وترقى بالإنسانية إلى مستوى رفيع.

وكان من نتيجة هذا الغزو الثقافي أن ترفّع بعض أبناء جلدتنا عن ثقافتهم في المأكل، والملبس، والتعامل، وشكل الخطاب ومحتواه. وكان من نتيجة ذلك ما نلحظه من الحرص على تعلم اللغة الأجنبية مع إهمال تعلم اللغة العربية. وعمل المترفون من الناس على تسجيل أبنائهم في المدارس الأجنبية أو المدارس التي تتبع المناهج الأجنبية، والتي تكون فيها اللغة الأجنبية لغة التدريس، بدعوى أن هذه المدارس تفوق المدارس الأخرى في جودة التعليم والتربية. ولكن لم يَعِ الآباء أنّ هذه المدارس تصوغ الطالب العربي بعيداً عن ثقافته، فتجتث جذوره، وتجعله يشعر بالغربة بين أهله، ويصبح كل همه أن يفارق هذه البيئة "المتخلفة" لينضم إلى بيئة أخرى "متحضرة".

وقام بعض المشبوهين ينفثون سمومهم ويخفون ما في صدورهم من غلٍّ على اللغة وأهلها، ولن أنسى ما ختم به أحدُهم مقترحاته المتعلقة باللغة العربية قائلاً: "وبالجملة، نستطيع أن نقول إنّ الخط اللاتيني هو وثبة في النور نحو المستقبل، ولكنْ هل العناصر التي تنتفع ببقاء الخط العربي والتقاليد ترضى بهذه الوثبة؟".

ثم إن حصوننا مهددة من خارجها أيضاً، فتيار العولمة الثقافية الجارف ينال من جميع الثقافات الإنسانية ذات الأصول الحضارية العريقة، وثقافتنا العربية تقع في مقدمتها. ومن أهم دعاوي هذه الهجمة أن العربية الفصيحة بعيدة عن الاستعمال اليومي، فهي لم تعد

موجودة إلا في الصالونات الثقافية، لذا يجب أن تحل محلها اللغات العامية. وبذلك تلقى العربية المصير نفسه الذي آلت إليه اللغة اللاتينية، التي تحللت إلى لهجاتٍ تطورت تدريجياً إلى لغات قائمة.

قد لا تلقى هذه الدعوى آذاناً صاغية لدى المسؤولين العرب، لكن الذي يحدث، فعلاً، هو طغيان العاميات على أجهزة الإعلام، وتقلص العربية الفصيحة، والحال لا يبشر بخير.

ختم الدكتور ناصر الدين الأسد محاضرته التي ألقاها في مجمع اللغة العربية بدمشق بقوله: "إن واقع اللغة العربية الأدبية والعلمية، وانعزالها عن الحياة الثقافية، والتدريس الجامعي، والبحث العلمي، لا يعين على أن تحيا اللغة حياة سليمة. ولن تستعيد اللغة عافيتها إلا إذا آمن أهلها بها وبقدرتها على مسايرة الزمن، والاستجابة لمتطلبات العصر، وصمموا على أن تكون هي لغة الفكر والأدب والعلم، وبذلك تستعيد عافيتها ورسالتها.

نستنتج من هذا أن اللغة العربية، وهي على أبواب مجتمع المعرفة، تواجه أزمة حقيقية في الإبداع والنقد، في التعليم والبحث العلمي، في الإعلام وسواه، إضافة إلى التحديات التي تطرحها تقانة المعلومات. ومن أبرز وجوه هذه الأزمة، ومظاهر هذه التحديات ما يلي:

١. غياب رؤية واضحة للإصلاح اللغوي، وغياب سياسة لغوية على المستوى القومي.
٢. تعثر عملية التعريب، والقصور في الترجمة، في المجالات العلمية والإنسانية الحديثة.
٣. قصور العتاد المعرفي لدى أهل اللغة، وجمود التنظير اللغوي، وتدني الوعي بدور اللغة في المجتمع.

٤. ضآلة النشر الإلكتروني باللغة العربية، وضعف البرمجيات المتقدمة فيها.

٥. غياب أو قصور سلطة المجامع اللغوية العربية، وقلة مواردها، وضعف التنسيق بينها، وعدم توفير الوسائل التي تؤهل اللغة العربية لتكون لغة عصرية متطورة، فاعلة في التعليم والتواصل وغيرهما.

وللخروج من هذه الأزمة يمكن الاستفادة من الفرص الكثيرة التي يتيحها مجتمع المعرفة، ويأتي في طليعتها:

- ❖ الإفادة من شبكة الإنترنت في تطوير مواقع لتعليم اللغة العربية وتعلّمها.
- ❖ التطور التقاني الهائل في هندسة اللغة، إذ يمثل نظام اللغة بتعقده الشديد موضوعاً مثيراً للتناول الهندسي لفن السيطرة على النظم المعقدة.
- ❖ الحرص الذي تبديه اليونسكو، وبعض المنظمات الدولية، على تعدد اللغات، واستعدادها للمساعدة على إبقائها حية.
- ❖ الإفادة من الجهود التي تبذلها مجموعات من الباحثين، في عدد من الأقطار العربية،في مجال المعجميات وعلم النص الحديث، والاستفادة أيضاً من الإنجازات التي أثبتت جدواها في معالجة اللغة العربية آلياً، وبخاصة في مجالات علم الصرف والنحو، واستخدام الحاسوب في بناء الذخيرة العربية.

ومما يساعد أيضاً على النهوض باللغة العربية، ما جاء في تقرير ورشة عقدت لهذا الغرض عام ٢٠٠١، وهو:

- "إنشاء مصرف موحد للمصطلحات ومرصد لها، وتطوير حوسبة اللغة العربية، على أن تستفيد هذه المؤسسة من مختلف التجارب العربية والأجنبية الناجحة، ومن جهود المجامع والمؤسسات اللغوية، وتكوِّن إطاراً قومياً مرجعياً لمختلف أنشطة المؤسسات، والهيئات، والجمعيات الرسمية، والأهلية.
- إقامة شبكات تنسيق واتصال وتأهيل للربط بين مختلف المؤسسات والباحثين في مجال اللغة العربية، داخل الوطن وخارجه".

وإضافة إلى هذا، ثمة حاجة ماسة إلى إنشاء شبكة اتصال عربية حاسوبية، تربط المراكز المعنية في العالم العربي فيما بينها، بغية الحصول على المعلومات المتصلة بشؤون الترجمة. وتقوم هذه الشبكة بوصل الأفراد في البلد الواحد، ويمكنُها أن تصل بين الأفراد من بلدان عربية مختلفة، وأن تصل إلى قواعد بيانات عالمية، عن طريق الربط بالشبكات العالمية.

وقد أشار الدكتور محمد مراياتي، في مقدمة بحثه عن المصطلح في مجتمع المعلومات، الذي ألقاه في المؤتمر الثالث لمجمع اللغة العربية بدمشق، إلى أن إدارة المصطلح، باستخدام تقانات المعلومات، تقدم فرصاً اقتصادية واجتماعية وثقافية مهمة إلى الوطن العربي، وأن الإخفاق فيها محفوف بالمخاطر. هذا، وإن الإجراءات اللازمة لإنجاح عملية توليد المصطلح ورصده وتنسيقه ونشره، هي الآن أسهل مما كانت عليه سابقاً، وأصبحت في متناول اليد، وقابلة للتنفيذ بفضل التقانات الحديثة.

وجاء في وثيقة، تتعلق بالتحدي الإسرائيلي المعلوماتي، أعدتها المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ورفعتها قبل عدة شهور إلى مؤتمر الوزراء المسؤولين عن الشؤون الثقافية في الوطن العربي، ما يلي:

"بداية، علينا أن نقر بأنّ صورة الثقافة العربية على الإنترنت لا يمكن أن تكون إلا انعكاساً أو نتاجاً فرعياً للمشهد الثقافي العام، وللتأزم الحضاري الذي يسود عالمنا العربي. ولا يمكن لحوارنا مع الآخرين عبر الإنترنت أن ينفصل عن أحوالنا الداخلية، وأوضاعنا السياسية والاقتصادية. فشبكة الإنترنت، بوضعها الحالي على الأقل، ما هي إلا أداة لطرح نتاج الفكر، وأنشطة المؤسسات الثقافية والعلمية، وحصاد المؤتمرات والندوات، ومناهج الدراسة ونتائج البحوث، وهي تعدّ بذلك مرآة كاشفة لمدى حيوية المجتمعات وهمة أفرادها، وواقع ظروفها ونوعية الخطابات التي تتفاعل بداخلها. بعبارة أخرى، لا يمكن أن تنشأ الرسالة الثقافية من فراغ، بل لابد من توفر البنى الأساسية القادرة على إنتاجها، ومداومة تحديثها، ورصد وتحليل ما يقوم به الآخر، المعادي والموالي، المتقدم والنامي، العالمي والإقليمي".

وأما عن خطابنا الثقافي العربي على الإنترنت، فتشير الوثيقة إلى انعزاليته المعرفية والتاريخية. فهو ينأى عن الدراسات الجادة منطوياً على ذاته، لا يطرح قضاياه في سياقات ثقافية وحضارية وإنسانية أوسع، وتتّسمُ أساليب عرضه بالبدائية، وعدم استغلال الإمكانات الكثيرة التي تتيحها تقانة الإنترنت.

وفي القرن الثالث الهجري قال القاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني:

ولم أقض حق العلم إنْ كان كلّما	بدا طمعٌ صَيَّرْتُهُ لِيَ سُلَّمَا
ولو أن أهل العلم صانوه صانهم	ولو عظّموه في النفوس لعُظِّمَا
ولكنْ أهانوه فهانوا ودنسوا	محياه بالأطماع حتى تجهما

أما عن الملامح البارزة لموقف الكيان الصهيوني فإني أذكر منها: تعددية الجماعات والأفراد التي تسهم في تكوين صورة الثقافة اليهودية، ويشمل الجانب الثقافي اليهودي عبر الإنترنت معظم عناصر منظومتي الثقافة والحضارة، واهتمام الخطاب بجميع المراحل العمرية، ووجود التنسيق الشديد بين مواقع بث وتبادل معلومات الثقافة اليهودية، كل ذلك مع مراعاة حشد التأييد للكيان الصهيوني.

وينطلق هذا الكيان من استراتيجية واضحة مبنية على رؤية مستقبلية، واستشراف دقيق لتوجهات تقانة المعلومات والاتصالات، مع التركيز على ثلاث تقانات محورية هي التقانة المعلوماتية، والتقانة الحيوية، وتقانة المنمنمات (نانو تكنولوجي).

بيد أنّ هناك أموراً هامة يجدر الانتباه لها.

<u>أولاً</u> فيما يتعلق باللغة والنفاذ إلى مصادر المعرفة نلاحظ ما يلي:

إن الانفجار المعرفي في العقود الأخيرة، ويشمل ذلك ضخامة المعلومات، يجعل الفكر العربي أمام مشكلة، هي إحساسه بالعجز والدونية أمام هذا التدفق الباهر، وهذا يتطلب البحث عن برمجيات لمعالجة النصوص، وزيادة فعالية النفاذ إلى المعرفة المصوغة باللغة العربية أو بغيرها. ويساعد في ذلك استخدام أساليب الذكاء الصنعي في تحليل النصوص العربية وفهمها آلياً، وصنع آلة استنتاج (واجهة ترابط وتخاطب وتواصل) مصممة على

وجه الخصوص للغة العربية Arabic Interface Machine . ويتعين على البحث اللغوي العربي أن يهتم جداً بمطالب إنتاج الوثيقة الإلكترونية العربية، وإكسابها جدارة الانتشار عبر شبكة الإنترنت، ويتضمن ذلك الأمور المتعلقة بقابليتها للقراءة، والبحث والاختزال، والنص الترابطي hypertext، وهو نص مرتبط بعضه ببعض ضمن شبكة من الارتباطات المعقدة وغير التتابعية، إذ يستطيع المستخدم تصفح المواضيع المترابطة. ويجب أيضاً بذل جهود كبيرة في مجال الترجمة الآلية بدءاً من الترجمة التي تكفي للإلمام السريع بموضوع النص، وصولاً إلى الترجمة الدقيقة للنصوص الأدبية[1].

ثانياً فيما يخص اللغة واستيعاب المعرفة

يتطلب استيعاب المعرفة المتسارع تعريب التعليم الجامعي، وتشجيع التأليف باللغة العربية، ودعم الجهود المبذولة في مجال الترجمة الآلية، وبناء بنوك المصطلحات باستخدام تقانة المعلومات.

ثالثاً فيما يتصل باللغة وتوليد المعرفة

يمكنُ للغة أن تساهم في استكشاف مناهج بحثية جديدة مغايرة لمناهج العلوم التطبيقية والبحتة، كما يمكنها، إذا تمكنت من إنشاء علاقة وثيقة بالمعلوماتية، أن تعزز الإبداع العلمي والفني والأدبي، وفنون اللغة وفروعها. ويكون لهذا الموضوع قيمةٌ أكبرُ في حال اللغة العربية، بفضلِ ما تحظى به من قدرة على الاشتقاق، وما تتّسم به من المرونة،

[1] تقرير التنمية الإنسانية العربية لعام ٢٠٠٣ مع بعض التصرف.

وبفضلِ غناها بالمفردات والمترادفات والمعاني. فهي، إذن، يمكن أن تكون شديدة الفعالية في إنتاج المعرفة.

وأخيراً، لا بد من التنبيه على أن الوطن العربي بحاجةٍ ماسة إلى نموذجٍ خاص للتنمية المعلوماتية، من أهمِّ سماتِه تزايُدُ الاهتمامِ بالجانب اللغوي. واللغةُ العربية هي من أهم مقومات التكتل العربي المعلوماتي. وهذا يقتضي، في ظل الظروف الاقتصادية السيئة، ترشيدَ استخدام الموارد، كما يتطلبُ التزامَ مبدأ المشاركة في الموارد المعلوماتية محلياً وإقليمياً.

قال فيلسوف اللغة لودفيج فيتجنشتاين: "إن هذا التشاركَ بين اللغة وتِقانة المعلومات هو الذي يساعدنا على استيعاب العالم حولنا".

وفي الختام، اسمحوا لي أن أشير ، ونحن في رحاب مجمع اللغة العربية، إلى أن مسؤوليات المجمع ضخمة، وأن المهتمين باللغة العربية وحمايتها وتنميتها يعتقدون أن المجمع يقوم عنهم بحمل هذه المسؤوليات. لذا فإني آمُلُ ألا نخيبَ آمالَهم، ونكون عند حسن ظنهم. وهذا يفرض على أعضائه الكرام أن يضيفوا إلى ما يقومون به من جهود مباركة، يستحقون الشكر عليها، في نشر التراث والعناية بشأن المصطلح، وتنظيم المؤتمرات والمحاضرات، العملَ على ترتيب الأولويات، وإعادةَ النظر في آلية العمل، والاستفادةَ من تقانة المعلومات، ومضاعفةَ الجهود في التنمية اللغوية، وصياغةَ سياسة لغوية مناسبة، مع السعي لدى أصحاب القرار لتوفير الموارد المالية والبشرية، ليتمكنَ المجمعُ من أداء جميع واجباته.

أشكر لكم، أيها الحضور الكرام، حسن استماعكم، والسلام عليكم .